

## الفصل الثاني

### تقاليد الانشقاق الديني

#### قيم الحياة الرسولية :

كانت تقاليد النبوة الرؤوية واحدة فقط من بين عدة شروط مسبقة للحركات التي يهتم بها هذا الكتاب ( ص ٣٧ ) والأخرى كانت تقاليد الانشقاق الديني الذي دام خلال العصور الوسطى ، وليس لأن هذه الحركات كانت تعبيراً نمونجياً عن الانشقاق الديني ، بل على العكس ففي كثير من النواحي كانت في جوهرها واهدافها وسلوكها و( كما سنرى ) في تركيبها الاجتماعي معاً غير نمونجية ، ومع ذلك ان هذا الجيشان الخاص يمكن فهمه تماماً فقط في اطار عدم الرضى الديني الواسع الانتشار ، وقد شغلت الكنيسة بالطبع دوراً ضخماً في ايجاد المدنية والمحافظة عليها في القرون الوسطى وتخلل نفوذها افكار ومشاعر كل انواع وحالات الرجال والنساء - ومع ذلك كانت تجد صعوبة في ارضاء الطموحات الدينية التي رعتها بصورة كاملة ، لقد كان لها صفوة دينية من الرهبان والراهبات ، الذين كانت حياتهم - على الأقل من الناحية النظرية واحياناً كثيرة في التطبيق ايضاً - مكرسة كلية لخدمة الرب ، فلقد خدم الرهبان والراهبات المجتمع ككل بصلواتهم ، وكثيراً ما كانوا يعنون ايضاً بالمرضى والمحتاجين ، ولكن لم تكن مهمتهم بشكل عام اسعاف الاحتياجات الروحية للعامة ، لقد كانت هذه مسؤولية الكهنوت المدني ، وكانت مسؤولية كثير ما كانوا سيئي الأعداد لتأديتها فإذا مال الرهبان والراهبات للابتعاد كثيراً عن العالم فإن

الكهنة المدني من الاساقفة الى قسيس الابرشيات كانوا يميلون الى الاستغراق فيه ، والغنى والطموح السياسي بين أعلى مستويات الاكليروس والتسري او الانحلال الجنسي بين الاكليروس الأدنى ، كل هذه كانت الاشياء التي كان يشكو منها الناس العاديون ، وكان هناك ايضا جوع كبير للتبشير بالانجيل ، لقد كان الناس يتوقون لسماع الوعظ بالانجيل بشكل بسيط ومباشر حتى يتمكنوا من ربط ماسمعه بخبرتهم الشخصية .

والمعايير التي كان يحكم بها على الكنيسة كانت هي تلك التي وضعتها الكنيسة نفسها بين يدي شعوب اوروبا ، كمثل لأنها كانت معايير الكنيسة البدائية كما صورت في الاناجيل ، وفي اعمال الرسل ( ص ٢٨ ) الى حد ما كانت هذه المعايير مدخرة في طريقة الحياة الرهبانية التي كانت تقتدي بحياة الرسل ، وكما تقول قاعدة القديس بندكت « هل هم حقا رهبان يعيشون من كد ايديهم ، مثل اباؤهم والرسل » وعندما بدأ في القرنين العاشر والحادي عشر ديرا كلوني وهيرسو حركتهما الاصلاحية الكبيرة ، كان الهدف جعل حياة الرهبنة اقرب الى خط حياة المجتمع المسيحي الاول كما وصف في اعمال الرسل « وكل من امنوا كانوا معاً ، وكان كل شيء مشتركاً ... ولم يقل اي منهم ان شيئاً البتة مما يملكه خاص به ... بل كل ذلك الذي يحتويه الدير بين جدرانها كان فقط ذا اهمية محدودة لسواد الناس ، وكان هناك دائماً بعض الناس العاديين ممن يلاحظون بمرارة الهوة التي تفصل بين البساطة والفقير لدى المسيحيين الاوائل وبين النظام الكهنوتي الغني المنظم في كنيسة زمانهم ، وكان هؤلاء الناس يريدون ان يروا في اوساطهم ، رجالاً يمكنهم ان يتقوا في قدسيتهم يعيشون ويعظون كالرسل الاصليين .

وكان الرجال المستعدون لاداء هذا الدور موجودين ، حتى لو كان هذا يعني الوقوف ضد الكنيسة ، وفي عيون الكنيسة كان كهناتها المرسمون في حينه كما ينبغي هم فقط المخولون بالوعظ ، وعامة الناس الذين يتجراون على هذا العمل كانوا يقعون تحت طائلة

الحرمان من الكنييسة ، ومع ذلك فلا يكاد هناك على ما يبدو زمن في أوروبا القرون الوسطى لم يوجد فيه وعاظ من العامة يهيمون في الأرض مقلدين للرسل ، وكان مثل هؤلاء الناس معروفين بالفعل في بلاد الغال في القرن السادس ، واستمر ظهورهم من وقت لآخر حتى الفترة من ١١٠٠ وماتلاها وقد أصبحوا فجأة أكثر عددا وأكثر أهمية ويمكن ملاحظة التغيير كنتاج ثانوي لواحد من الجهود العظيمة لاصلاح الكنييسة من الداخل كالذي ينقطع بين فترة وأخرى ، ويميز تاريخ مسيحية القرون الوسطى ، وفي هذه الحالة ان التحريض وراء الاصلاح كان يأتي من البابوية نفسها ، وفي العصور الوسطى كانت الكنييسة بما فيها الأديرة قد سقطت في شرك الاعتماد على الملوك الدنويين والنبلاء الذين تحكموا في التعيينات الكنيسية الأكليريكية على كل المستويات .

ولكن أثناء القرن الحادي عشر أدى توالي البابوات الأقوياء الى ترسيخ استقلال ذاتية الادارة الكنيسية ، وشمل هذا تأكيدا جديدا على المنزلة الخاصة ، وعلى هيبة الأكليروس كنخبة روحية تقف بوضوح بعيدا عن العامة وفوقها. وبذل غريغوري السابع الكبير جهودا شاقة لكبح السيمونية او شراء الوظائف الأكليريكية وفرض التبتل الأكليريكي ( في وقت كان فيه كثير من الكهنة متزوجين او يعيشون مع محظيات ) ( ص ٣٩ ) .

وفي جهودهم لتنفيذ هذه السياسة البابوية لم يتردد دعاة الاصلاح في الهاب مشاعر العامة ضد الأكليركيين المعادين للاصلاح ، ومضى بعضهم حتى لأبعد من ذلك بتسمية الأساقفة السيمونيين بخدم الشيطان ، واقتراح عدم صلاحية الترسيم الذي يقوم به مثل هؤلاء الأساقفة ومنعت الجامعات الأبرشية تكرارا ، الكهنة المتزوجين المتسرين من تلاوة القداس ، وهكذا فعل غريغوري السابع نفسه ، ولم يجادل المصلحون الأرثوذكس بالطبع في ان الأسرار المقدسة التي يديرها الكهنة غير المؤهلين غير صالحة ، ولكن ليس من المدهش ان مثل هذه الأفكار كان عليها ان تبدأ في الانتشار بين

العامّة وقد قوت حركة الاصلاح الكبيرة نفسها الحماس الديني لدى عامّة الرجال والنساء وكان التلهف على المقدسين ذوي الحياة الرسولية اقوى من اي وقت ، وبحلول نهاية القرن الحادي عشر بدأت الطاقات الدينية التي اوقظت مجددا تهرب من السيطرة الاكليريكية وتتحول ضد الكنيسة .

وكان الشعور على نطاق واسع ان الاختيار للكاهن الحقيقي لايقع في واقع الترسيم بل في اخلاصه لطريقة الحياة الرسولية ومن حينه فصاعدا بات على الوعاظ الهائمون غير المخولين توقع اتباع لم يسبق لهم ان عهدوهم من قبل .

وانه لامر مفيد الوقوف لوهلة قصيرة للاطلاع على واعظ نموذجي اشتهر في فرنسا في مطلع القرن الثاني عشر وكان راهبا سالفا يدعى هنري ، ترك ديرة وهام على الطرق ، وفي اربعاء الرماد اول ايام الصيام الكبير في ١١١٦ وصل الى ليمانس وقد تصرف وفق الطرق التالية : كان قد تقدمه اثنان من التلاميذ ، كما كان المسيح في دنوه الاخير من القدس ، وحمل هذان الرسولان صليباً كما لو ان رئيسهم كان اسقفا ، واخذ الاسقف الحقيقي هيلد بـرت اوف لافردين كل ذلك على المحمل الحسن بل انه حتى اعطى هنري الاذن بالبقاء مواعظ تتعلق بالصوم الكبير في المدينة ولكنه بصفاقه انطلق بعد ذلك في طريقه متجها في رحلة طويلة الى روما ، وحالما ادار الاسقف ظهره ، بدأ هنري - كان شابا ملتحيا يلبس فقط قميصا من الشعر محظيا بموهبة صوتية قوية - في الوعظ ضد الاكليروس المحلي ، ووجد مستمعين متقبلين ، وكان شعب ليمانس مستعدا جدا للتحول ضد اكليروسه لأن هؤلاء كانوا جماعة فاسدة تعيش حياة رخيّة ، وعلاوة على ذلك كان اساقفة ليمانس نشطاء في السياسة المحلية ، وفي قضية غير شعبية ، اعاروا فيها تأييدهم للكونتات الذين كان المواطنون يناضلون لتحرير انفسهم من حكمهم المطلق ، ولم يكن مدهشا تماما انه بعد فترة قصيرة من وعظ هنري

كانت الجماهير من العامة تضرب الكهنة في الشوارع وتسدحرجهم في الطين .

ولاحاجة للمرء لتصديق اتهامات الترخيص الجنسي والفساد الذي الصفته الحوليات الاكليركية بهنري ، لأنها كانت كليشيهات تلصق بانتظام ضد المنشقين الدينيين ، وعلى العكس يبدو ان هنري كان واعظا ينادي بالتزمت الجنسي فقد حض النساء على التخلي عن ملابسهن الثمينة وحليهن (ص ٤٠ ) للمحارق التي اشتمتعت خصيصا لهذه الغاية ، واصلح البغايا بتزويجهن لاتباعه ، ولكن حول حماسة المعادي للاكليروس ليس هناك من شك .

وفي سنوات تالية حيث كان نشيطا في ايطاليا ومقاطعة بروفانس الفرنسية ، رفض سلطة الكنيسة كلية ، وانكر ان الكهنة المرسمين لديهم سلطة تقديس الجماهير وخبز القربان ومنح الغفران ، او رئاسة مراسم الزواج، وكان التعمد كما بشر يجب ان يجري فقط كعلامة خارجية على العقيدة وان ابنية الكنيسة وكل الزخارف والحلي المتعلقة بالديانة الرسمية عديمة الجدوى ، ويمكن للانسان ان يصلي في اي مكان كما يمكنه ان يصلي في كنيسة ، والكنيسة الحقيقية تتكون من الذين يتبعون اسلوب حياة الرسل في الفقر والبساطة ، وان محبة الجار هي جوهر الدين الحقيقي، واعتبر هنري نفسه كانه مفوض من الرب مباشرة بإيصال هذه الرسالة والتبشير بها .

وكتب لهنري ان يكون له خلفاء عدة ، وخلال العصور الوسطى كان طلب الاصلاح الديني ملحا والمثل التي تقف وراء هذا الطلب ، وان اختلفت في التفاصيل من زمن لآخر ومن مكان لآخر . بقيت متماثلة في جوهرها ، وعلى مدى اربعة قرون من الوالد نسيان الى الفرنسيين الرومانيين الى الانابابتست ( القائلين بتجديد العماد ) يجد المرء رجالا يهيمنون في الارض يعيشون في فقر وبساطة في محاولة لتقليد الرسل ويعظون بالانجيل من أجل التوجيه الروحي

والارشاد، وباعتراف الجميع ان هذه المثل لم تكن محصورة في المذشقين او ( كما كانوا يسمون ) المهرطقين وبالفعل كان في زمن هنري رهبان آخرون مثل روبرت اوف اربريسيل والقديس نوربرت اوف اكرانتن اللذان خرجا الى العالم كوعاظ هانمين باذن تام من البابا ، وفي القرن الثالث عشر عندما وجدت المنظمات الفرنسيسكانية والدومنيكانية ، فانهم تكيفوا بوعي تام مع حياة الرسل .

وفي الواقع انه لولا المحاولات المختلفة لتحقيق مثل الكنيسة البدائية ضمن اطار الكنيسة ذات المؤسسات لكانت حركة الانشقاق بالتأكيد اكبر مما كانت عليه بكثير ، ومع ذلك ان هذه الحركات لم تكن ابدا ناجحة تماما ، فمرات ومرات كان الرهبان الواعظون او الرهبان الاخوة يرتدون الى ماوراء اسوار اديرتهم او يتخلون عن متابعة قدسيتهام امام قدسية النفوذ السياسي .

ومرات ومرات كانت اوامر الاصلاح المكرس اصلا للفقير الرسولي تنتهي بحيازة ثروات عظيمة ، وعندما كان هذا يحدث كانت بعض اجزاء من العامة تشعر بالفراغ الروحي ، وكان بعض المذشقين او الوعاظ المهرطقين يتقدمون لملء هذا الفراغ .

وبشكل طبيعي كان هؤلاء الوعاظ يقدمون انفسهم كمرشدين روحيين ، ولكنهم كانوا يدعون احيانا بانهم اكثر بكثير انبياء ملهمين الهيا او مخلصين منتظرين بل وحتى الهة متجسدين ( ص ٤١ ) وهذه الظاهرة موجودة في الصميم من الدراسة الجارية ، وقد حان الوقت للتفكير بامعان وتفصيل في بعض الظواهر المبكرة منها .

بعض المخلصين المبكرين :

اشتهر مؤرخ القرن السادس للفرنجة القديس غريغوري اسقف

تور بالدقة التي جمع فيها المعلومات حول الأحداث المعاصرة له ، وفي مدينة تور التي تقع على الطريق الرئيس بين الشمال والجنوب في فرنسا . كان له مركز تسمع رائع ، والكتب الست الأخيرة حول التاريخ الفرنسي ، المكتوبة في صورة يوميات تسجل كل حدث كما وقع ، وهي ذات قيمة تاريخية عظيمة ، وتحث عام ٥٩١ يتحدث غريغوري عن رجل حر واعظ ادعى انه المسيح :

رجل من بوج مضى الى الغابات حيث وجد نفسه فجأة محاطا بسرب من الذباب ، وكان من نتيجة ذلك ان فقد عقله لمدة عامين ، و فيما بعد شق طريقه الى اقليم ارل حيث أصبح ناسكا واكتسى بجلود الحيوانات ، وكرس نفسه كلية للصلاة ، وعندما خرج من هذا التدريب على الزهد ادعى انه يملك مواهب خارقة للطبيعة في المعالجة والتنبؤ، وأدى به التجوال الى منطقة جيفودون في السيفين حيث ادعى انه المسيح وكانت معه امرأة دعاها مريم كرفيقة له ، واندفع الناس اليه أفواجا مع مرضاهم الذين كانوا يبراون بلمسة منه، وتكهن ايضا بأحداث مستقبلية ، متنبئا بالمرض والمحن لمعظم الذين زاروه ولكن بالخلاص للقلة .

وأظهر الرجل قوى هائلة الى درجة عزاها غريغوري الى مساعدة الشيطان ، وكانت بالتأكيد قوى غير عادية بدرجة كافية لتضمن له أتباعا عديدين ، وكما هو الحال دائما في تقديرات العصور الوسطى ان على المرء ان يعتبر رقم ٣٠٠٠ مبالغة مفرطة ، كما لم يكن هؤلاء الاتباع مشكلين فقط من جمهور الأميين وغير المثقفين ، بل شمل ذلك ايضا بعض الكهنة ، وأحضروا له ذهباً وفضة وملابس ، ولكن « المسيح » وزع كل هذه الأشياء على الفقراء ، وعندما كانت الهدايا تقدم اليه كان يسجد هو ورفيقته ويقدمان الصلوات ، لكنه ينهض على قدميه بعد ذلك ويأمر الحشد بعبادته ، ثم نظم أتباعه فيما بعد في فرقة مسلحة ، قادها في أنحاء الريف ليكنم ويسلب المسافرين الذين كان يلقاهاهم على الطريق، ولكن هنا ايضا لم يكن طموحه ان يصبح غنيا وانما ان يعبد ، وقد وزع

كل الغنائم على من لا يملكون شيئا بما فيهم ، كما يمكن للمرء ان يفترض ، اتباعه. ومن جانب آخر عندما كانت الفرقة تحل بمدينة كان السكان بما فيهم من الاساقفة يهددون بالموت اذا لم يعبدوه (ص ٤٢) .

وكان في لابوي ان لقي هذا المسيح قدره المشؤوم .

فعندما وصل الى تلك المدينة الاسقفية الهامة عسكر « جيشه » كما يسميه غريغوري - في الكنائس القديمة المجاورة كما لو كان على وشك ان يشن حربا ضد الاسقف ، او ريلبيوس ثم ارسل الرسل مقدما ليعلنوا مقدمه ، حيث كانوا يقدمون انفسهم للاسقف عراة تماما ، وهم يقفزون ويتشقلبون

وارسل الاسقف بدوره فريقا من رجاله لمقابلة المسيح على الطريق ، وقام قائد الفريق وهو يتظاهر بالانحناء فأمسك بالرجل حول ركبتيه ، وبعد ذلك اعتقل بسرعة وقطع اربا ، وعلق غريغوري على ذلك قائلا : « وهكذا اسقط ومات هذا المسيح الذي يمكن حقا ان يسمى مسيحا دجالا » واعتقلت ايضا رفيقته ماري وعذبت حتى كشفت عن كل الاجهزة الشيطانية التي اعطته قوته ، اما بالنسبة للاتباع فقد تشتتوا ، ولكنهم بقوا تحت حرمان زعيمهم ، واستمر الذين امنوا به على ذلك حتى يومهم الأخير ، وكانوا يتمسكون بانه المسيح حقا وان المرأة ماري ايضا كانت كاننا إلهيا .

وفي تجربة غريغوري لم تكن هذه القضية على أي حال فريدة ، وقد ظهرت شخصيات كثيرة مماثلة في أجزاء أخرى من البلاد ، واجتذبت هي ايضا أتباعا مخلصين ، خاصة بين النساء و اعتبرهم الناس قديسين أحياء ، وقد التقى غريغوري نفسه بالعديد من أمثالهم ، و جاول بالنصيحة و الموعظة أن يردهم عن طريق الخطأ مع أنه هو نفسه رأى هذه الأحداث كعلامات كثيرة على قرب النهاية ، و كان الطاعون و المجاعة في كل اتجاه، لهذا كان من المؤكد توقع الأنبياء المزيفين أيضا ، حيث كما فكر ، أن المسيح هو نفسه

قال : «...سيكون هناك مجاعات وطاقون وهزات أرضية في أماكن عديدة...ثم إذا قال لك أي إنسان انظر ، هنا مسيح أو هناك ، لا تصدق . حيث سيظهر مسيحيون مزيفون ، وأنبياء مزيفون وسيظهرون علامات عظيمة وعجائب الى درجة انه إذا كان ممكنا ، إنهم سيخدعون المنتخب من السماء بالذات ، وهذه الأشياء هي التي تؤذن بمجيء الأيام الأخيرة »

وبعد ذلك بقرن ونصف القرن بينما القديس بونيفيس يعمل كممثل بابوي ويعمل على اصلاح الكنيسة الفرنجية ، صادف شخصية مشابهة جدا تدعى الدبيرت وكان هذا الرجل قد جاء كغريب الى المنطقة المحيطة بسواسون حيث منعه الأسقف المحلي من الوعظ في الكنائس ، مع أنه كان مرسما ، وكان الدبيرت من أصل متواضع ، وكان المستمعون له أيضا مكونين من الجماهير الريفية البسيطة ، ومثل مسيح القرن السادس المجهول الاسم طبق الفقر الرسولي ، وادعى هو أيضا القيام بمعالجات معجزة . وكبداية قام بمجرد نصب صليبان في الريف ، وكان يعظ الى جانبها في الهواء الطلق ، ولكن سرعان ما بنى له أتباعه ما يوفر له ( ض ٤٣ ) راحة مناسبة ليقوم بالوعظ فيه وكان ذلك في البداية كنائس صغيرة ثم كنائس كبيرة .

ولم يكن الدبيرت قانعا بأن يكون مجرد مصلح ، وادعى انه قديس حي ، وقال إن الناس يجب أن يصلوا له شركين إياه مع القديسين لأنه يملك الجداره والمزايا غير العادية التي يمكن أن تكون في خدمة انصاره ، ولأنه اعتبر نفسه مكافئا للقديسين والرسول فقد رفض أن يكرس كنائسه لأي منهم،وبدلا من ذلك فقد كرسها لنفسه ، ولكن في الواقع مضى الدبيرت إلى أبعد بكثير من ذلك ، لقد خرج بالادعاء على الأقل ببعض الخصائص المميزة للمسيح ، وهكذا أعلن انه مليء بالنعمة الالهية بينما كان في رحم أمه و حظي بعطف الرب الخاص ، و كان بالفعل كائنا مقدسا عندما ولد ، وقبل ولادته حلمت أمه ان عجلا قد خرج من جانبها الأيمن ، ولا مفر من أن يفكر

المرء في بشارة الملاك جبريل لمريم بحملها بالمسيح ، ويسوع كحمل الرب ، لا سيما وأن يسوع كان على المستوى الشعبي يعتقد بأنه قد ولد من خلال الجانب الأيمن للعدراء .

وقد ألف الدبيرت صلاة أرسلها بونيفيس الى روما من أجل الدرس وهي تظهر كيف كان واثقا من وجود علاقة خاصة بالرب ، لقد وعد الرب على ما يبدو بإعطائه كل ما يرغب، وتنتهي الصلاة بالتماس المعونة من ثمانية من الملائكة . ومن مصدر آخر نعرف أن الدبيرت تمتع بخدمات ملاك كان يحضر له من أطراف الأرض الآثار المعجزة ، وبفضلها كان يمكنه أن يحصل على ما يريد لنفسه ولاتباعه ، وكان أيضا يملك رسالة من المسيح ، استعملها كأساس لتعاليمه الخاصة - وهذه ظاهرة سنقابلها مرات أخرى في فصول تالية .

وكان زخم تأثير الدبيرت بالتأكيد عظيما ، فقد هجر الناس كهنتهم وأساقفتهم وتدفعت جموعهم الكبيرة ليستمعوا اليه ، وكانت سيطرته مطلقة على أتباعه المباشرين الذين كانوا يشملون كثيرا من النساء ، وكانوا مقتنعين بأنه يعرف كل خطاياهم دون أن يعترفوا بها، وأدخروا تعاويذ على أنها تفعل المعجزات ، من قلامات الأظافر وجزارات الشعر التي كان يوزعها بينهم ، وانتشر نفوذه بعيدا جدا خارج الوطن ، ولقد اعتبره بونيفيس تهديدا خطيرا للكنيسة ، حتى أنه طلب معونة البسابا ( لاعادة الفرنجة والغاليين الى الطريق الصحيح ) الذي جعلهم الدبيرت يهجرونه .

وفي الواقع إن سلسلة كاملة من المجامع كانت مهمته بنشاطاته ، وفي سنة ٧٤٤ عقد بونيفيس مجلسا في سوابسون بموافقة من البابا زكريا وبالدعم الفعال من الملكين الفرنجيين بيبين وشارلمان تقرر تجريد الدبيرت واعتقاله وسجنه وإحراق الصلبان التي أقامها ، ولكن الدبيرت هرب واستمر في وعظه ( ص ٤٤ ) لذلك عقد مجمع آخر في السنة التالية ترأسه بونيفيس والملك شارلمان ، وفي

هذه المرة لم يعلن فقط عن خلع الدبيرت من الكهنوت بل حرمانه ايضا من الكنيسة ، ومع ذلك فقد تدبر أمر الاستمرار في الوعظ ، إلى مدى أدى إلى أنه بعد بضع شهور عقد مجمع آخر ، هذه المرة في روما ، ضم أربعة وعشرين أسقفا وترأسه البابا زكريا نفسه ، ولم يكن أمام المجمع الروماني فقط بيان كامل من بونيفيس بل أيضا سيرة حياة الدبيرت التي أقرها هذا المسيح رسميا ، وصلاة ألها بنفسه ، وقد أقنعت هذه الوثائق المجمع أن الرجل كان مجنونا ، ونتيجة لذلك عومل برفق ولين ، ليعطى فرصة ليعترف علنا بالخطأ ، ويتفادى الحرمان ، وكان بونيفيس يريد حرمانه وسجنه فورا ، وكان محقا بكل تأكيد في اعتقاده أنه طالما بقي الدبيرت حرا ، فإنه سيستمر بالوعظ بمذهبه الشاذ ، ومن ثم اكتساب الاتباع والانصار ، وفي ٧٤٦ روت سفارة من الملك بيبين للبابا زكريا أن الواعظ الشاذ كان ما زال نشيطا ، وعلى أي حال يبدو أنه توفي بعد ذلك بفترة قصيرة .

وبعد أربعة قرون ، وعندما أصبح الوعاظ الهانمون الذين يعيشون حياة الرسل تهديدا خطيرا للكنيسة المؤسسائيين ، كان هناك « مسيحا » نشيطا في بريتاني ، والرواية الأكمل التي نملكها عن هذا الرجل قدمها وليم نيوبيرغ الذي كتب بعد نصف قرن، ويميل المرء بطبيعته إلى أن يقلل من شأن مثل هذه المصادر المتأخرة ، ولكن وليم واحد من أكثر الناس الذين يمكن الاعتماد عليهم في التاريخ للعصور الوسطى وترتيب الأحداث زمنيا .

وكما في هذا المثال تكرر معظم معلوماته بإخلاص مصادر معاصرة للأحداث ، ويبدو من المحتمل أن التفاصيل الباقية تأتي من بعض مصادر أخرى أقدم فقدت الآن.

ويدعو وليم نيوبيرغ « مسيح » بريتون إيدو دي ستيل ، وقد أخذ معظم المؤرخين المحدثين بهذا الاسم ، أو مكافئه الفرنسي بيدو دي لا توال، ويشير المؤرخون الذين عاصروا الأحداث على أي حال إلى

الرجل ( على نحو متبادل باسماء مستعارة ) هي ايس ، ايون ، يون ، وايبون ، ولا يعرفون شيئاً عن دي ستيتلا ، وهناك عدم يقين حول منزلته وحالته ، وانفرد وليم في قوله انه لم يكن راهبا او كاهنا مرسما بل من عامة الناس التقط شذرات من اللغة اللاتينية بصورة سطحية .

و مع ذلك ادعى التفوق الكهنوتي المميز ، و في حوالي ١١٤٥ بدأ يعظ في الهواء الطلق ، و يمكن للمرء أن يفترض انه كالواعظين الهائمين الآخرين قد أثار الخيال بتمجيدده لأسلوب الحياة الرسولية ، وقد قام أيضا ببعض أنواع من حفلات القداس لصالح اتباعه ، وكان بالتأكيد رجلا ذا شخصية جاذبة ، وكان الذين لهم تعامل معه مأخوذين كما أخبرنا كالذباب في شباك العنكبوت « ( ص ٤٥ ) وفي النهاية نظم اتباعه في كنيسة جديدة ذات اساقفة ورؤساء اساقفة، وبالنسبة لنفسه كان مقتنعا أن اسمه هو الذي كان يشار اليه في العبارة التي كانت ترد في آخر الصلوات :

« الخلاص من خلال يسوع المسيح ربنا » .

وهي في الحقيقة لا تعني « باسم يسوع نفسه المسيح ربنا » بل عنت « من خلال ايون يسوع المسيح ربنا » وعليه لم يكن يتردد في تسمية نفسه بابن الله وقد تبع ايون جمهور عظيم من عامة أشقياء الناس ، وكان بعض هؤلاء الناس بالتأكيد مدفوعين باليأس المطلق ، و تعلق احدي الحوليات الاصلية على مغامرات ايون بأنه في ذلك الزمان كانت المجاعات مثيرة للثورة والهياج ، حتى أن المحسنين كانوا يعجزون عن إعالة الحشود الجائعة من الفقراء ، بينما كان حتى أولئك الذين يتمتعون بشكل طبيعي بفيض من السلع ينزلون الى درجة استجداء الطعام ، ومن المعروف أن شتاء ١١٤٤ كان رهيبا وأعقبه عامان من الشح والمجاعة ، وتركت اعداد كبيرة من فقراء الناس اراضيها التي لم تعد قادرة على اعالتها ، وهاجرت حتى الى ما وراء البحار ، وقد الحق الشماليون

القدماء الخراب الشامل ببريتاني قبل ذلك بنحو قرنين ، وكانت في القرن الثاني عشر ما زالت تشبه الأرض المستعمرة ، التي يسكنها بشكل متناثر فلاحون مبعثرون وكثير منها مغطى بغابات كثيفة ، وفي تلك الغابات اتخذ ايون قاعدته .

وعندما كان أحد الرجال يقرر أن يكون واعظا هائما سواء اكان اصوليا أم منشقا ، فإنه كثيرا ما كان يبدأ بالدخول الى إحدى الغابات ويعيش كناسك لبعض الوقت ، وخلال تلك الفترة من التدريب على الزهد كان يحرز قوة روحية من أجل مهمته ، وقد يحرز أيضا سمعته كرجل قديس ويجتذب أتباعه الأول ، وهكذا بدأ بلديون الزائف حياته في ١٢٢٤ ، ولا بد أن ايون قد اتبع النهج نفسه ، وماهو مؤكد أنه ما أن كان ينتظم تابعوه ، حتى كانوا يرهبون سكان الغابات في بريتاني ، فلقد كانوا حشودا عنيفة غير مستقرة تبتهج بالاغارة وتدمير الكنائس والاديرة وصوامع الذسك ، كلما مرت بها ، وهلك العديد بالسيف ، ومات المزيد من الجوع ، وتعطي الحوليات المعاصرة هذا القدر من الصور ويضيف وليم نيوبورغ أن أتباع ايون أنفسهم كانوا يعيشون في رفاهية ، يلبسون الملابس الفاخرة ، ولا يقومون بأي عمل يدوي ، ودائما في حالة من « الحبور التام » وكان يعتقد حتى أن الشياطين كانت تمدهم بالولائم الفاخرة ، وأن كل من شاطرهم فيها فقد ادراكه وأصبح واحدا من الجماعة الى الأبد ، ومن كل ذلك يمكن للمرء أن يستنتج أنه مثل الحشود المشابهة في قرون تاليه عاش أتباع ايون الى حد كبير على السلب ( ص ٤٦ ) وامتد نفوذ ايون بعيدا وراء حدود أتباعه المباشرين ، وفي الواقع إنه أصبح خطرا حتى أنه في النهاية أرسل رئيس اساقفة روين فرقة مسلحة ضده ، وفي ١١٤٨ اعتقل - ويذكر أن الاعتقال ربط بواحدة من شارات الأعاجيب المألوفة من الأحداث الكبيرة - كالظهور المفاجيء لأحد المذنبات - وقد أحضر أمام أحد المجامع التي عقدت في كاتدرائية ريمز من قبل البابا يوجينيس وكانت له ملاحظة جديدة عملها حول اسمه وهي صيغة :

eum qui Venturces et jcedicare aset mortus et seculum perigmen

وايضا اشير اليه « هو الذي كان حقا يجب ان يأتي ليحاسب الاحياء والاموات والعالم بالنار » وطبقا لما أورده وليم نيوبيرغ اوضح ايون أيضا ان العصا المتشعبة التي كان يحملها كانت تنظم حكم العالم : وعندما كانت العصا تشير الى الأعلى كان ثلثي العالم يتبع الرب والثلث له وعندما كانت تشير الى أسفل تنعكس النسبة .

وقد احوال المجمع ايون الى سجن رئيس اساقفة روون ، وسجن في برج في روون وكان يزود بالماء وقليل من الطعام ، ومات الرجل التعب بعد فترة قصيرة ، ويروي وليم نيوبيرغ أيضا اخبار مصير حواريبه الرئيسين الذين أسروا مع رئيسهم ، لقد رفضوا بصمود ان يتنكروا له ، وحملوا بفخر الألقاب التي خلعها عليهم ، وحكم عليهم بالموت حرقا على أساس أنهم مهرطقين غير نادمين وقد صمدوا دون ان يهتزوا حتى النهاية ، وهدد أحدهم بدمار المنفذيين للعقوبات ، وبينما كان يقتاد الى الوتد كان يصيح باستمرار ( يا ارض انشقي ) ! ويعلق وليم قائلا « إن قوة الخطأ قد تملك القلب »

وعلى ما يبدو ما من مؤرخ محدث أنكر أبدا ان المسيح المجهول في القرن السادس أو الدبيرت في القرن الثامن أو ايون في القرن الحادي عشر قد تصرفوا فعلا كما قال معاصروهم إنهم قد تصرفوا ، والصورة في كل حالة هي نفسها الى حد كبير .

لقد بدأ هؤلاء الرجال جميعا كواعظين مستقلين مكرسين لطريقة الرسل في الحياة ، ولكنهم انتهوا بالمضي الى ابعد بكثير ، وقام كل من الثلاثة بادعاء انه المسيح ، ووجد للثلاثة جميعا أتباعا كثر نظموهم في كنائس كرسست لعبادة أنفسهم ، وفي حالتين من الثلاثة كان بعض الاتباع منظمين أيضا في فرق مسلحة ، ليس فقط بهدف

حماية المسيح الجديد بل أيضا لفرض ديانته بالقوة ، وكان كل ذلك مقبولا من المؤرخين على أنه دقيق وصحيح بدرجة كبيرة ، ولكن حول حالة شخصية أخرى مشابهة جدا هي تانشيلم أوف انتويرب هناك اتفاق عام أقل .

إن هناك بعض الأسس للاعتقاد أن تانشيلم كان راهبا في وقت ما ، وعلى أي حال إنه بالتأكيد قد أحرز معرفة بالقراءة والكتابة كما كان طبيعيا حكرا للاكليروس ، وكان أيضا معروفا ببيلاغته ( ص ٤٧ ) وفي وقت ما حوالي سنة ١١١٠ وجد ضرورة للهرب من أبرشية أو ترخت الى مقاطعة فلاندرز حيث كسب عطف الكونت روبرت الثاني الذي أوفده في مهمة دبلوماسية الى المقر المقدس للبابا ، وكان الكونت مهتما باضعاف سلطة الأمبراطور الألماني في البلاد المنخفضة ، والمهمة التي كلف بها تانشيلم كانت حث البابا على تقسيم أبرشية أو ترخت التي كانت موالية للأمبراطور ، وأن يلحق قسما منها بأبرشية تحت سلطة الكونت ، وسافر تانشيلم بصحبة كاهن يدعى ايفر وشر الى روما ، ولكن رئيس أساقفة كولونيا اقنع البابا باسمال الثاني برفض المشروع .

وهكذا أخفقت محاولة تانشيلم الدبلوماسية وعلاوة على ذلك فقد توفي رابعه الكونت روبرت في ١١١١ ، وكانت تلك نقطة تحول حيث اندفع تانشيلم بسرعة في اتجاه جديد ، فمن ١١١٢ وما بعدها كان يعمل بنشاط كواعظ متجول ، ولكن لم يعد ذلك في فلاندرز بل في جزر زيلاند ، وفي برابانت ، وفي اسقفية أوترخت وفوق كل ذلك في انتويرب التي أصبحت مقرا لقيادته .

وما حدث بعدئذ هو أمر جدلي بسبب طبيعة المصادر الرئيسية ، وهذه تتألف من رسالة من جماعة من رجال كنيسة أوترخت إلى رئيس أساقفة كولن ، يحتمل أن تكون كتبت بين ١١١٢ و ١١١٤ طلبوا فيها من رئيس الأساقفة الذي قبض بالفعل على تانشيلم وايفر وشر أن يبقيهما في السجن ، كما طالبوا

بحياة الخصم الأرثوذكسي لتانزيم القديس نوربرت أوف اكسننتن، ولكن إذا كانت لكاتبى الوثائق جميعا مصلحة في تشويه سمعة تانزيم فهذا لايعني أن كل شيء ذكره بالضرورة غير صحيح ، وفي الواقع إن الكثير منه مألوف جدا ، وبالتالي مقنع ، وبشكل خاص إن مجمع أوترخت يستحق أخذه بجدية لأنه كان يصف أحداثا يفترض أنها كانت جارية في تلك اللحظة وبموافقة أسقف مجاور كان بالتاكيد قادرا على التأكد من المعلومات .

وطبقا للمجمع بدأ تانزيم الوعظ في الحقول والأماكن المكشوفة وهو متزي بزى راهب ، وقد قيل لنا إن بلاغته كانت غير عادية وأن العديد استمعوا إليه كما لو كانوا يستمعون إلى ملك للرب ، لقد بدأ كرجل مقدس وشكا مجمع أوترخت أنه كسيده الشيطان ، كان له مظهر ملك للنور ، ومثل كثير من الوعاظ الجوالين بدأ بإدانة الأكليروس غير الجدير - مثل كاهن انتويرب ، وكان الوحيد في المدينة في ذلك الوقت ، الذي يعيش مع محظيه علنا - ثم وسع هجومه ليشمل الكنيسة ككل ، ولم يبشر بمجرد أن الأسرار المقدسة كانت باطلة ، إذا أدارتها أيد غير جديرة ، بل أيضا إن الأمور كما كانت ، والأوامر المقدسة قد فقدت كل معنى ، والمقدسات لم تكن أفضل من المذنبات ، والكنايس ليست أفضل من المواخير ( ص ٤٨ ) وثبتت فعالية هذه الدعاية حتى أن الناس توقفوا عن المشاركة في القسربان المقدس والذهاب إلى الكنيسة ، وبشكل عام كما لاحظ المجمع بأسى أن الأمور بلغت حدا أنه كلما ازدري المرء الكنيسة كلما اعتبر أكثر قدسية ، وفي الوقت نفسه استثمر تانزيم الظلم المادي ، كما شكوا المجمع ، وحض الجماهير بسهولة على حبس عشور الكنيسة عن الكهنة ، وأن هذا ماكان يريده الناس ، لقد كانت العشور ممقوتة من فلاحى العصور الوسطى ، الذين كانوا مستائين بمرارة من اضطرارهم لتسليم عشر إنتاجهم من القمح والأعشاب التي تنتجها بساتينهم ومراعيهم وأوزهم ، وكان الاستياء قد بلغ مداه حيث كان الكاهن الذي يتلقى العشور لايحظى بالاحترام .

وإلى هذا الحد تذكرنا أفكار تانزشيلم بأحد الرهبان واسمه هنري ، الذي كان نشيطا في الوقت نفسه بالذات ، علاوة على ذلك ، عمل كلا الرجلين في المحيط الاجتماعي نفسه ، وهو قيام كومونات وعندما وصل هنري إلى لامانس كان البورجوازيون مائزاون غاضبين على أسقفهم لتأييده للكونت ، الذي كانوا يناضلون للتخلص من حكمه المطلق ، والمنطقة التي تابع فيها تانزشيلم قد اكتسحتها أيضا حركات العصيان المسلح في الكومونات لسنوات عديدة ، وبدءا من ١٠٧٤ بدأت مدينة بعد الأخرى في وادي الراين : اوترخت ، برابانت ، فلاندرز وشمال فرنسا تخلص نفسها بقدر الامكان من هيمنة السادة الاقطاعيين ، الكنسيين أو المدنيين .

وكانت هذه الحركات اقدم الثورات الاجتماعية التي تميز تاريخ المدن في العصور الوسطى ، وكانت منظمة على الاغلب من قبل التجار تأييدا لمصالحهم الخاصة ، واراد التجار التخلص من القوانين التي صيغت في الاصل للسكان من الفلاحين التابعين . والتي يمكنها أن تعوق فقط ، النشاط التجاري ، لقد ارادوا التهرب من الديون والضرائب التي كانت يوما ثمنا للحماية ، ولكن بدا انها مجرد ضرائب استبدادية تؤخذ اغتصابا بعد ان أصبح الآن البورجوازيون قادرين على الدفاع عن انفسهم . لقد ارادوا ان يحكموا مدنهم بانفسهم ووفق القوانين التي اعترفت بمتطلباتهم من الاقتصاد الجديد ، وفي كثير من الحالات كانت هذه الاهداف تتحقق سلميا ، ولكن عندما كان يتبين ان السيد الاقطاعي متصلب ، كان التجار ينظمون جميع رجال المدينة في جمعية متمردة وكان كل عضو فيها يلزم بقسم مقدس .

وحدثت حركات العصيان بشكل رئيسي في المدن الخاصة بالكنائس ، وخلافا للامير المدني كان الاسقف حاكما حقيقيا في مدينته ، وكان بالطبع معنيا بالابقاء على سلطته على الرعايا الذين يعيش بينهم ، علاوة على ذلك كان موقف الكنيسة تجاه الامور الاقتصادية محافظا بدرجة عميقة ، وفي التجارة لم تكن ترى لزمان

طويل شيئا سوى الربا ، وفي التجار لاشيء سوى المبتدعين  
الخطيرين ( ص ٤٩ ) الذين يجب أن تحبط مخططاتهم بحزم ، وكان  
البورجوازيون من جانبيهم إذا صمموا على كسر سلطة الأسقف  
قادرين أيضا على قتله وإشعال النار في كاتدرائيته ، وطرد أي من  
اتباعه بالقوة يمكن أن يحاول الانتقام له ، ومع أن أهدافهم في كل  
ذلك كانت تبقى عادة محدودة بدرجة كبيرة ومادية تماما ، فإنه كان  
من المتوقع أن تترافق بعض هذه الثورات باحتجاج عنيف ضد الكهنة  
غير ذوي الجدارة ، وعندما كانت الطبقات الدنيا في المجتمعات المدنية  
تشترك في مثل هذه الاحتجاجات فإنها كانت في الواقع تميل بدرجة  
كافية إلى الصخب .

هكذا كان المحيط الاجتماعي في حركتي كل من هنري وتانزيم ،  
ولكن إذا لم نستبعد نهائيا كل المصادر المعاصرة لابد أن تانزيم  
مضى إلى حد أبعد من هنري ، وطبقا لمجمع أوترخت ، شكل تانزيم  
اتباعه في جماعة مخلصمة إخلاصا أعمى ، اعتبرت نفسها الكنيسة  
الصحيحة الوحيدة التي حكمها كملك مسيحي ، وفي طريقه لالقاء  
المواظ كان يسير محاطا بمرافقين ، ولم يكن يسبقه صليب بل  
سيفه وعلمه المحمولين كإشارة ملكية ، وفي الواقع كان يعلن أنه  
يملك الروح القدس بالمعنى نفسه وبالدرجة نفسها كاليسوع ، وبأنه  
كاليسوع كان ربا ، وفي إحدى المناسبات أحضر له تمثال لمريم  
العذراء ، وفي حضور حشد كبير خطب نفسه لها بوقار ، وكانت  
صناديق النفاذس توضع على كلا جانبي التمثال لتلقى فيها هدايا  
الزواج المقدمة من الأتباع من الذكور والإناث على التوالي ، وقال  
وقتها تانزيم : « الآن سأرى أي جنس يحمل حبا أكثر تجاهي  
وتجاه عروسي » وسجل الأكليروس الذي شهد ذلك بفزع كيف اندفع  
الناس لتقديم هداياهم وكيف ألقى النساء بأقراطهن وعقودهن .

وكان الأكليروس قانعين بأن باعث تانزيم في هذه المناسبة كان  
الشهره ، ولكن ربما كان في الواقع مثل مسيح القرن السادس ، أو  
معاصرة هنري الراهب مهتما بإبعداد الأغنياء عن طرق الزهو

الدينيوية ، ويمكن للمرء أيضا أن يحذف قصص الانغماس في الشهوات الجنسية لأن هذه كانت دائما تحكى عن المهرطقين من أي نوع ، ومن جانب آخر لا يبدو أن هناك سببا للشك في أن تانزويلم حقا قد نصب نفسه ككاهن إلهي . ويصف مجمع أوترخت كيف أن واحدا من أتباع تانزويلم وهو حداد يدعى مانسس شكل جمعية إخاء من إثني عشر رجلا في محاولة لمحاكاة الحواريين مع امرأة تمثل مريم العذراء ، وهذه ليست من نوع القصة التي يخترعها الناس ، لاسيما وأنها ليست امتيازا لرئيس الأساقفة المجاور ، ومرة أخرى ذكر مجمع أوترخت وكاتب سيرة القديس نوربرت أن تانزويلم وزع ماء حمامه بين أتباعه . وشربها بعضهم كبديل عن القربان المقدس ، في حين ادخرها آخرون كأثر مقدس . ( ص ٥٠ )

وهذا يذكر المرء بالدبيرت الذي كان يوزع قلامة اظفاره وجزازات شعره على أتباعه وبالنسبة لأي ممن يالفون المكتشفات المتعلقة بأصل الانسان فيما يتعلق بالمانا أو القوة الكامنة أو الطرق التي يمكن بها نقلها عبر وسائل مادية ، فإن مثل هذه الاجراءات يمكن فهمها فوراً وتضيف سيرة القديس نوربرت تفاصيل أخرى ، فهي تذكر كيف نظم تانزويلم حرسا مسلحا كان يقيم معه عادة ولائم فاخرة ، وتقول أيضا إنه كان من غير المأمون لأي أحد حتى الأمراء العظام للأراضي المجاورة الاقتراب من تانزويلم ، إلا كتسابع ، وأن الذين فعلوا ذلك كانوا عادة يقتلون على أيدي الحرس ، حتى إن الحاكم الأول لسيغبرت في غمبلوكس قال إن تانزويلم وأتباعه نفذوا مذابح كثيرة وكل هذه أدلة مشكوك فيها ، فقد كتب كاتب سيرة القديس نوربوت كما هو محتمل بعد ( ١١٥٥ ) ، ومع أنه ربما كان يستقي معلوماته من سيرة أقدم فقدت الآن ، وهو ربما يكون أيضا قد تأثر بقصة « مسيح » القرن السادس لغريغوري أوف تور ، وبالنسبة للحاكم الأول لسيغبرت في غمبلوكس فإنه كتب بعد ١١٥٥ ومصدر معلوماته غامض ، ولكن حتى لو أسقطت هذه الاضافات الأخيرة الى القصة فإنه يبقى من الواضح أن تانزويلم قد مارس بأي وسيلة هيمنة حقيقية على منطقة واسعة .

وقد أقر رجال مجمع أوترخت بحرية بعجزهم ، وأصروا على أن تانشيلم كان نزمان طويل خطرا على كنيسة أوترخت وإذا أطلق وسمح له باستئناف عمله فإنهم لن يستطيعوا مقاومته ، وأن الأبرشية ستضيق لغير صالح الكنيسة دون أمل في استردادها ، وحتى بعد موته ( يعتقد أن أحد الكهنة قتله حوالي ١١١٥ ) استمرت هيمنة تانشيلم طويلا على مدينة أنتويرب وتأسس مجمع من رجال الدين خصيصا لهذه الغاية ، لكنه كان غير قادر على معادلة نفوذه ، بل إنه على العكس خضع له ، وعند هذه النقطة استدعى نوربرت أوف اكسانتن ، وهو نبيل عظيم كان قد تخلى عن وظيفة متألقة في البلاط الإمبراطوري ليهيم في العالم في فقر رسولي ، وقد اشتهر نوربرت كصانع معجزات يعالج المرضى والمجانين ومؤنس للحيوانات المتوحشة ، وبسبب ذلك كان قادرا - مع أن ذلك كان بصعوبة - على أن يجتنب عامة الناس بعيدا عن ولائهم لثا نشيلم وأن يستعيد أنتويرب للكنيسة .

ووجد الوعاظ المتجولون نورالحياة المقدسة « والرسولية » مستمعين في كل طبقات المجتمع ليس فقط عندنا كانوا اصوليين مثل روبرت أوف أربريسيل \* Arbrissel أو نوربرت أوف الكسانتن ولكن حتى عندما كانوا مهرطقين بوضوح مثل كاترز في لانغر يدوك .

وكانوا كثيرا ما يتمتعون بدعم النبلاء الكبار والبرجوازيين الذين كانوا يعيشون في رخاء ، ولكن يبدو أن نوعية الواعظ الذي يدعي أنه كائن الهي أو نصف الهي ( ص ٥١ ) أو قديس حي أو مسيح أو تجسيد للروح القدس كانت تجذب بشكل خاص الطبقات الأولى من المجتمع ، وحقيقي أنه حتى هنا أن ما يجده المرء هو ميل فقط ، وليس قاعدة ثابتة فقد كان بعض الاتباع « لمسيح » القرن السادس قادرين على أن يجلبوا له الذهب والفضة أو بعض المؤنات بتانشيلم كن يقدمن له الأطواق والأقراط ، ومن جانب آخر إنه من الصعب تصور أن أعضاء الفرقة المسلحة التي أعدها « المسيح » لتكمن

للمسافرين وتسلبهم حتى يستطيع أن يوزع المنهوبات على الفقراء ، لم يكونوا هم أنفسهم من الفقراء ، ولقد وجد تانزويلم اتباعه الأوائل بين سكان والشرين والجزر الأخرى الواقعة عند مصبي المويز والشلدات ، وهؤلاء فقط يمكن أن يكونوا من الناس الفقراء الصيادين والفلاحين ، وحتى فيما بعد في أنتويرب كان حلفاءه الأقربين كذلك ، حتى أنهم تركوا أنفسهم لحداد كي يقوم بتنظيمهم ، وبالذسية لايون فإنه أيضا كان له أتباع عديدون من الناس البسطاء في الغابات الوحشية والناحية في بريتاني .

وجملة القول يبدو تماما أنه من الواضح بدرجة كافية ان هؤلاء الذين ادعى كل منهم انه المسيح قد استمدوا الكتلة الداعمة من ادنى الطبقات الاجتماعية ومذ أكثر من نصف قرن لفت عالم الاجتماع الديني ماكس ويبر\* .

Max Weber

الانظار الى الميول الراقدة تحت مثل هذه الظواهر بقوله :

إن نوعا مخلصا من الأديان يمكن أن يذشأ في الطبقات الاجتماعية ذات المزايا ( الموسرة ) وسحر النبي .. هو عادة مرتبط بحد ادنى معين من الثقافة العقلية ... ولكنه بشكل منتظم يغير خصائصها .. عندما ينفذ الى الطبقات الاقل ثراء .. ويمكن للمرء أن يحدد سمة واحدة على الأقل تصحب عادة هذا التحول وتكون احدى النتائج للتكيف الذي لا مفر منه مع حاجات الجماهير، وهذا هو مظهر المخلص الشخصي سواء كان الهيا مقدسا او مزيجا بشريا الهيا، والعلاقة الدينية بهذا المخلص كعنصر لازم ومسبق للخلاص، وكما هبط المرء سلم الطبقات الاجتماعية كلما كانت الطرق التي يتم بها التعبير عن الحاجة الى مخلص أكثر نزوعا إلى التطرف....

والميول التي يشير اليها ويبر قد تمت ملاحظتها في كثير من الاراضي المستعمرة او التي كانت مستعمرة خلال القرن الحالي، وكمثال واحد من مئات يمكن للمرء ان يفكر في مسيحي الزولو الذين درسهم د . بنت سانديكلر

Dr Benyt Sundkler

وتماما كشخصيات القرون الوسطى سمي هؤلاء أنفسهم



فقدوا ايمانهم بقيمتهم التقليدية ، والان خلال العصور الوسطى  
خبرت نواح معينة من اوروبا الغربية تماما مثل هذه الازمات من  
الارتباك الجماهيري ، وكانت هذه بشكل خاص هي الحالة منذ  
نهاية القرن الحادي عشر ومابعده ، فمنذ ذلك الوقت وماتلاه يمكن  
للمرء ان يميز بوضوح تام في التيار العظيم للانشقاق الديني تيارا  
واحدا يمكن بشكل دقيق تسميته الانشقاق الديني للفقراء ، ومنذ ذلك  
الوقت ومايليه يمكن للمرء ان يتكلم دون اهلية عمّن ادعى انه  
المسيح بين الفقراء وحركات الفقراء الذين بهذه الأنواع من  
المسيح .

إنه يمثل هذه الشخصيات ومثل هذه الحركات سيهتم الجزء  
الاعظم من هذا الكتاب ولكن في البداية من الضروري ان نبحث  
بايجاز في من هم هؤلاء الفقراء، وما الذي ميزهم عن فقراء القرون  
الاقدم، ولاي ضغوط جديدة كانوا يستجيبون وماهي الاحتياجات  
الجديدة التي كانوا يحاولون التعبير عنها .